المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

هذا الكتاب يتحدث عن شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه وعصره وهو امتداد لما سبقه من كتب تحدثت عن الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، تبحث فى دراسة عهد الخلفاء الراشدين لكى نستخرج الدروس والعبر ونستوعب السُّنن والقوانين الإلهية في حركة المجتمعات وبناء الدول ونهضة الشعوب ، وتربية القادة ، والأفراد العاملين لنشر دين الله بين الناس .

إن عودة الأمة لما كانت عليه فى قيادتها للبشرية منوط بسيرها على هدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ، فقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ عن المراحل التاريخية التى تمر بها الأمة في مسيراتها في الحياة ، فقال ﷺ : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا عاضًا

فيكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة [١] .

إن معرفة عهد الخلافة الراشدة ومنهاج النبوة خطوة لابد منها فى تحقيق الأهداف التي تسعى الأمة لتحقيقها في هذه الحياة ، فقد قال ﷺ : « **عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي** » [٢] .

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين ملئ بالدروس والعبر وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع ، سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية ، فنحن في أشد الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها ، فتاريخ الخلافة الراشدة إذا أحسن عرضه يغذي الأرواح ويهذب النفوس وينور ويبنى العقول ، ويشحذ الهمم ، ويقدم الدروس ، ويسهل العبر ، وينضج الأفكار ، ويوضح معالمها ، وصفات قادتها ، ونظام حكمها ، وأخلاق جيلها ، وعوامل ازدهارها ، وأسباب زوالها ، فنستفيد من ذلك في إعداد الجيل المسلم الذي يتربى على منهاج النبوة وفقه الخلافة الراشدة ، ونتعرف على حياة عصر مَنْ قال الله تعالى فيهم : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)** ﴾ .

[التوبة : ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال فيهم رسول الله ﷺ : « **خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم ...** » [٣] .

وقال فيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : من كان مستناً فليستّن بمن قد مات ،

---

(١) المسند (٤/٢٧٣) ؛ البزار رقم (١٥٨٨) رجاله ثقات .
(٢) سنن أبي داود (٤/٢٠١) ؛ الترمذي (٥/٤٤) حسن صحيح .
(٣) مسلم (٤/١٩٦٣ - ١٩٦٤) .

فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا والله أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلوباً ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم [١] .

فالصحابة رضي الله عنهم قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ، ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها ، فعصرهم خير العصور ، فهم الذين علّموا الأمة القرآن الكريم ورووا السُّنن والآثار عن رسول الله ﷺ ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في الفكر والثقافة والعلم والجهد ، وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم ، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد ما يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح ، وهدي رشيد ، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس .

إن التاريخ الإسلامي أصبح غرضًا ومرمى لسهام أعداء الإسلام على مختلف مذاهبهم وعقائدهم ، ويحاولون أن يُوجدوا فجوة في الإسلام وتاريخه الزاهر ، حتى يتسنى لهم عزل الأجيال عن الإسلام وعقيدته وشريعته وقيمه وتراثه العلمي ، ولذلك يبذلون قصارى جهدهم لنفث السموم في المجتمع الإسلامي .

لقد حاول المستشرقون ومن قبلهم الروافض أن ينشروا كل رواية باطلة تنقص من شأن الصحابة الكرام ، وتطعن فى تاريخ الأمة المجيد ، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة والسيادة والنفوذ ، ولذلك يجب الحذر من كل رافضي كاذب ، ومستشرق حاقد ، وعلماني جاهد ، وكل من سار على نهجهم ، ولابد من الدفاع المستميت عن تاريخنا الخالد والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين ، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحق العلمية المملؤة بالحقائق الساطعة والأدلة القاطعة والبراهين الدامغة .

---

(١) شرح السُّنَّة للبغوي (١/٢١٤ - ٢١٥) .

إن صياغة التاريخ الإسلامي بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة ضرورة ملحة لأبناء الأمة ، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتّاب تصوغ التاريخ من هذا المنظور ، وهم لم يبدؤا من فراغ ، لأن الله حمى دينه وحمى أمته ، فقيض لتاريخ الصحابة رضي الله عنهم من يحقق وقائعه ويصحح أخباره ، ويكشف الستار عن الوضّاعين والكذّابين من ملفقي الأخبار ، ويرجع الجهد العظيم في ذلك التصحيح إلى الله ثم أهل السُّنَّة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة التي تنقض وترد كل ما وضعه الملفقون [١] .

هذا وقد سرتُ على أصول منهج أهل السُّنَّة ، فعكفتُ على المصادر والمراجع القديمة والحديثة ولم أعتمد في دراسة عصر الخلفاء الراشدين على الطبري وابن الأثير والذهبي وكتب التاريخ المشهورة فقط ؛ بل رجعت إلى كتب التفسير ، والحديث ، وشروحها ، وكتب العقائد والفرق ، وكتب التراجم والجرح والتعديل ، وكتب الفقه ، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة ، وقد شرعت في هذا الكتاب بالحديث عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « **وأصدقها حياءً عثمان** » [٢] ، وقال فيه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بعد تقديمه النفقة العظيمة : « **ما ضرّ عثمان بعد اليوم ، ما ضر عثمان بعد اليوم** » [٣] ، وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه [٤] ، وحثّ الناس عند وقوع الفتنة أن يكونوا مع عثمان وأصحابه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا ، أو اختلافا وفتنة** » ، فقال له قائل من

---

(١) المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ ، د . محمد محزون ، (ص ٤) .
(٢) فضائل الصحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (٦٠٤/١) ، إسناده صحيح .
(٣) سنن الترمذي رقم (٣٧٨٥) .
(٤) البخاري رقم (٣٦٩٥) .

الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ ، قال : « **عليكم بالأمين وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان** » [١] .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ لا يعدلون بأبي بكر رضي الله عنه أحد ، ثم عمر رضي الله عنه ، ثم عثمان رضي الله عنه ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم** » [٢] .

وقد قال فيه الشاعر النميرى :

عشيّةً يدخلون بغير إذن ... على متوكلٍ أوفى وطابا

خليل محمدٍ ووزير صدقٍ ... ورابع خيرِ مَن وطيء الترابا [٣]

وقال فيه أبو محمد القحطاني :

لما قضى صديق أحمد نحبه ... دفع الخلافة للإمام الثاني

أعني به الفاروق فرق عنوة ... بالسيف بين الكفرِ والإيمانِ

هو أظهر الإسلام بعد خفائه ... ومحا الظلام وباح بالكتمان

ومضى وخلى الأمر شورى بينهم ... في الأمر فاجتمعوا على عثمان

من كان يسهر ليلة في ركعة ... وترًا فيكمل ختمة القرآنِ

إلى أن قال :

والويل للركب الذين سعوا إلى ... عثمان فاجتمعوا على العصيان [٤]

إن حياة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه صفحةٌ مشرقةٌ في تاريخ الأمة ، وقد قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره ، وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها ، لكى

---

(١) فضائل الصحابة (٥٥٠/١) ، إسناده صحيح .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (٣٦٩٨) .

(٣) البداية والنهاية (٢٠٦/٧) .

(٤) نونية القحطاني ، (ص ٢١ - ٢٥) .

تصبح في متناول أبناء أمتي على مختلف طبقاتهم من علماء ودعاة وخطباء ، وساسة ومفكرين ، وقادة جيوش ، وحكام ، وطلاب علم ، وعامة الناس ، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم ، ويقتدون بها في أعمالهم ، فيكرمهم الله بالفوز في الدارين .

لقد تحدثت في هذا الكتاب عن اسم ذي النورين ونسبه وكنيته وألقابه وأسرته ومكانته في الجاهلية وإسلامه وزواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ ، وابتلاؤه وهجرته للحبشة ، وعن حياته مع القرآن الكريم وملازمته للنبي ﷺ ، وعن مواقفه في غزوات رسول الله ﷺ ، وعن حياته الاجتماعية بالمدينة ، ومساهمته الاقتصادية في بناء الدولة ، وتتبعت أحاديث رسول الله ﷺ في ذي النورين فيما ورد في فضائله مع غيره ، وما ورد عن رسول الله في أخباره عن الفتنة التي يُقتل فيها عثمان رضي الله عنه ، وتكلمت عن مكانته في عهد الصديق والفاروق ، وبينت قصة استخلافه ، ورددتُ على الأباطيل الرافضية التي دُست في قصة الشورى ، فأثبتُ بطلانها وزيفها بالحجج العلمية والبراهين القوية والأدلة المنطقية ، وذكرتُ أقوال أهل العلم في أحقية عثمان بالخلافة وانعقاد الإجماع على خلافته ، وشرحت منهج عثمان رضي الله عنه في نظام الحكم من خلال رسائله للولاة وأمراء الجند وعامة الناس ومواقفه في الحياة ، فقد وضّح رضي الله عنه المرجعية العليا للدولة ، وحق الأمة في محاكمة الخليفة ، وقواعد الشورى والعدل والمساواة والحريات ، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة المجتمعات ، وقد أشرت إلى أهم صفات عثمان رضي الله عنه القيادية وذكرت تسعة عشر صفة من صفاته مع المواقف الدالة على تلك الصفات الرفيعة ، والأخلاق الحميدة .

وتحدثت عن المؤسسة المالية فبينت معالم السياسة المالية التي أعلنها عثمان رضي الله عنه عندما تولى الحكم ، وأنواع النفقات العامة في عهده ، كصرف مرتبات الولاة ، والجنود ، والإنفاق على الحج ، وتمويل إعادة المسجد النبوي ، وتوسعة المسجد الحرام ، وانشاء أول أسطول بحري ، وتحويل الساحل من الشعيبة إلى

جدة ، وتمويل حفر الآبار ، ورواتب المؤذنين ، وأشرت إلى أثر تدفق الأموال على الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، وإلى حقيقة العلاقة بين عثمان وأقاربه والعطاء من بيت المال .

وتكلمت عن مؤسسة القضاء وبعض الاجتهادات الفقهية لعثمان رضي الله عنه والتي أثرت في المدارس الفقهية فيما بعد ، وجمعت فتوحات عثمان المتناثرة في كتب التاريخ ، وقمت بترتيبها وتنظيمها وفق حركة الجيوش في المشرق ، وبلاد الشام ، وفي الجبهة المصرية ، والشمال الأفريقي ، واستخرجت من حركة الفتوح دروسًا وعبرًا وفوائد ، كتحقق وعد الله للمؤمنين ، وتطور فنون الحرب والسياسة ، والاهتمام بحدود الدولة والحرص على وحدة الكلمة فى مواجهة العدو ، وجمع المعلومات على الأعداء ، وترجمت لبعض قادة الفتوح ، كالأحنف بن قيس ، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ، وسلمان بن ربيعة ، وحبيب بن مسلمة الفهري ، وأشدت بأعظم مفاخر عثمان رضي الله عنه في توحيده للأمة على قراءة المصحف العثماني، ووضحت المراحل التي مرت بها كتابة القرآن الكريم ، وتحدثت عن الباعث على جمع القرآن في عهده ، واستشارته لجمهور الصحابة ، وعن عدد المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار ، فوهم الصحابة لآيات النهي عن الاختلاف، وعن مؤسسة الولاة وأقاليم الدولة في عهده ، وسياسته مع الولاة وحقوقهم وواجباتهم ، وأساليبه في متابعة ولاته ومراقبتهم والإطلاع على أخبارهم ، وبينت حقيقة ولاة عثمان رضي الله عنهم وماذا لهم وماذا عليهم ، وحقيقة علاقة عثمان بأبي ذر ، وابن مسعود ، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم ، وفصلتُ في أسباب فتنة مقتل عثمان وأهمية دراسة وقائع هذه الفتنة ، وتحدثت عن كل سبب من الأسباب فى فقرة مستقلة ، كالرخاء وأثره في المجتمع ، وطبيعة التحول الاجتماعي ، ومجئ عثمان بعد عمر رضي الله عنهما ، وخروج كبار الصحابة من المدينة ، والعصبية الجاهلية ، وتوقف الفتوحات والورع الجاهلي ، وطموح الطامحين، وتآمر الحاقدين ، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد الخليفة الراشد المظلوم ، واستخدام

الأساليب والوسائل المهيجة للناس ، وعن أثر السبئية في أحداث الفتنة والخطوات التي اتخذها عثمان رضي الله عنه لمعالجتها ، كإرسال لجان تحقيق وتفتيش وإرساله لكل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين ، ومشورته لولاة الأمصار ، وإقامة الحجة على المتمردين ، والاستجابة لبعض مطالبهم ، وبينت ضوابط التعامل مع الفتن من خلال فقه عثمان رضي الله عنه ، كالتثبت ولزوم العدل والإنصاف ، والحلم والأناة ، والحرص على ما يجمع ونبذ ما يفرق ، ولزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام ، واستشارة العلماء الربانيين ، والاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن ، ووصفت إحتلال أهل الفتنة للمدينة ، وحصارهم لعثمان رضي الله عنه ودفاع الصحابة عنه ورفضه لذلك ، وذكرت مواقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنه ، وما ورد من أقوالهم في الفتنة .

إن هذا الكتاب يبرهن على عظمة ذي النورين ، ويثبت للقارئ الكريم بأنه كان عظيمًا بإيمانه وبعلمه وبخلقه وبآثاره ، وكانت عظمته مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدي الرسول الكريم ﷺ .

إن عثمان رضي الله عنه من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة ، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان ، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين ، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي ، غير مدعٍ عصمة ، ولا متبرئ من زلة ووجه الله الكريم لا غيره قصدت ، وثوابه أردت ، وهو المسؤول في المعونة عليه ، والانتفاع به إنه طيب الأسماء ، وسميع الدعاء .

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب الساعة الثانية من فجر يوم الأربعاء بتاريخ ٨ من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢/٦/١٨م ، والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ،ولعباده نافعًا ، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي ،

وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ، ونرجو من كل مسلم يطلّع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [النمل : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر : ٢] ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى أله وصحبه أجمعين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

علىّ محمد محمد الصلّابى

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه